للتاريخ السياسي

جهود المستر تشمبرلين
وما ادت إليه
للدكتور يوسف هيكل

من المعرانروم الى مؤتمر مونيخ

ظنت الدوائر السياسية أن الأزمة الدولية قد انفرجت بقبول تشيكوسلوفاكيا مشروع لندن ، وهو عبارة عن تحقيق مطالب الهر هتلر . وغادر صباح ٢٢ سبتمبر (ايلول) المستر تشمبرلين لندن إلى ألمانيا مرتاح النفس مطمئنها . وقبل صعوده إلى الطائرة قال : « إن تسوية المشكلة التشيكوسلوفاكية تسوية سلمية تعد شرطاً أساسياً لتفاهم الشعبين الانكليزي والألماني . وقد كان هذا الشرط أيضاً أساساً ضرورياً للسلم الأوربي الذي ترمي إليه جهودنا ، وإني أرجو أن تفتح زيارتي الطريق التي تؤدي إليه »

وبعد ظهر يوم وصوله إلى « كودسبرغ » اجتمع بالمستشار الألماني ، وعرض عليه ما اتفقت عليه حكومتا لندن وباريس ، من التنازل عن الأقاليم السوديتية لألمانيا ، وتعيين حدود جديدة لتشيكوسلوفاكيا ، وضمانها ضد الاعتداء غير المحرض عليه

لم يعترض الهر هتلر على فكرة الضمان ، غير أنه أبان أنه لا يضمن الحدود الجديدة إلا إذا كانت الدول الأخرى ، ومن بينها إيطاليا ، ضامنة لها أيضاً ؛ وأنه لا يشترك في الضمان الدولي لتشيكوسلوفاكيا إلا بعد أن تنال الأقليات الأخرى فيها مطالبها . أما الاقتراحات الثانية التي وضعها المستر تشمبرلين ، فلم يقبلها الهر هتلر ، بحجة أنها لا تمس حالاً سريعاً ، وتعطي فرصاً عديدة للتشيك للتهرب منها . وقد أصر على ضرورة حل سريع للمشكلة التشيكوسلوفاكية ، وأخذ يوضح للمستر تشمبرلين نوع هذا الحل الذي وضعه فيما بعد بمذكرة (مرانمدوم)

كم كانت دهشة المستر تشمبرلين عظيمة عند ما وجد نفسه في وضعية لم تكن منتظرة قط . إنه كان يعتقد اعتقاداً يقينياً ، أن ما عليه عند ما يذهب إلى كودسبرغ إلا أن يبحث مع الهر هتلر الاقتراحات التي قدمها إليه ، بحثاً هادئاً يؤدي إلى الاتفاق السريع عليها . لأن الهر هتلر أعلم المستر تشمبرلين في برختسكادن أنه إذا قبل مبدأ حق تقرير المصير ، فانه مستعد ليبحث معه الطرق والوسائل لتنفيذها . ولما قبل المستر تشمبرلين هذا المبدأ ، وقدم مشروع لندن المبني عليه ، رفضها الهر هتلر رفضاً باتاً حين ابتداء المحادثات . كان ذلك صدمة عنيفة للمستر تشمبرلين ، وخيبة لآماله التي كان يعلل النفس بها . ولكي يهون عليه الهر هتلر ذلك ، ويجد لموقفه المناقض مع قوله عذراً ، قال لرئيس وزارة انجلترا إنه لم يخطر على باله أنه (أي المستر تشمبرلين) يتمكن من العودة إلى ألمانيا حاملا قبول مبدأ حق تقرير المصير

كانت الصدمة عنيفة حتى أن المستر تشمبرلين شعر أنه في حاجة إلى الوقت ليفكر فيما يجب عليه عمله ، فانسحب ، وقبل انسحابه طلب من الهر هتلر أن يعيد له النأكيد بعدم الزحف على تشيكوسلوفاكيا أثناء المحادثات ، فأكد له الهر هتلر ذلك

وكان موعد متابعة المحادثات الساعة الحادية عشرة والنصف من اليوم التالي ؛ وكان المستر تشمبرلين يتأكد من أن الهر هتلر لم يفهم حق الفهم ما كان يقول له عن طريق المترجم ، لهذا فكر أن من الحكمة أن يرسل إليه قبل الشروع في المحادثات ، ملاحظاته كتابة على مطالب الهر هتلر الجديدة . ومما قال في ملاحظاته أنه سيرسل المطالب إلى الحكومة التشيكوسلافية ، وأبان الصعوبات العظيمة التي تحول دون قبولها . ولما تسلم المستشار الكتاب ، أظهر رغبته في الجواب عليه كتابة . ولذلك ألغى الاجتماع لمتابعة المحادثات وأرسل الجواب بعد الظهر .

ظن المستر تشمبرلين أن التأخير في إرسال الجواب ناجم عن إجراء بعض تعديلات في مطالب الهر هتلر . وعندما تسلم الكتاب خاب ظنه ، إذ وجده يحتوي على توضيحات للمطالب ولا يعدل فيها شيئا . فطالب المستر تشمبرلن نص المطالب ، وصورة من الخريطة المرفقة بها ، لارسالها إلى براغ ، وعزم على العودة إلى لندن . فقدم إليه ذلك خلال اجتماعه بالهر هتلر الذي ابتدأ الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٣ سبتمبر (إيلول) واستمر حتى الصباح الباكر .

وقبل أن يودع المستر تشمبرلن الهر هتلر ، قال له زعيم ألمانيا إن بلاد السوديت آخر الأراضي التي يطمع فيها بأوربا ، وإنه لا يرغب في أن يضم إلى الريخ شعوبا غير ألمانية . وقال أيضاً إنه

يرغب فى أن يكون صديقاً لانكلترا . ثم أردف قائلاً : صحيح أن هناك مسألة للمستعمرات ، ولكنها لا تولد حرباً ، ولا تنتج نعبئة عامة

عاد المستر تشمبرلن إلى لندن فى ٢٤ سبتمبر (إيلول) ، حاملا مذكرة الهر هتلر بدلا من الموافقة على اقتراحات لندن . وهذه المذكرة تحتوى على النقاط التالية :

١ — سحب جميع القوى التشيكية من جند وشرطة وبوليس جمارك وحراس حدود من المقاطعات التشيكوسلوفاكية المبينة فى الخريطة المرفقة ، والتى يجب أن تسلم إلى ألمانيا فى ١ أكتوبر

وتحتل الجيوش الألمانية هذه المقاطعات دون اعتبار وجود الأكثرية التشيكية فى بعض أجزاء هذه الأقاليم . وتسليم هذه الأقاليم يكون بحالتها الراهنة، أى من غير تخريب وإتلاف أى شىء من الأملاك والأموال ، حتى إنه لا يجوز سحب المواد الغذائية والبضائع ، والحيوانات ، والمواد الخام .

٢ — إجراء استفتاء فى المقاطعات التى فيما وراء المقاطعات التى ستحتل ، والمبينة فى الخريطة ، قبل ٢٥ نوفمبر تحت إشراف لجنة دولية . ويحق الانتخاب للأشخاص الذين كانوا يقطنون هذه المقاطعات فى ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٣٨ ، وكذلك للأشخاص الذين ولدوا .

٣ — تعيين لجنة ألمانية تشيكية ، ولجنة دولية ، للحدود الجديدة الناجمة عن الاستفتاء ...

٤ — تشكيل لجنة ألمانية تشكية لتسوية التفاصيل الأخرى.

وعلى الحكومة التشكية أن تسرح حالاً جميع الألمان السوديت الذين يخدمون فى الجيش والبوليس ، وأن تخلى جميع المسجونين من السياسيين الألمانيين .

أرسل المستر تشمبرلين المذكرة إلى حكومة براغ لدى وصوله لندن فى ٢٤ اكتوبر فوصلها مساء ذلك اليوم . وفى اليوم التالى تسلمت حكومة المستر تشمبرلين جواب حكومة الجنرال سيروفي ، الذى أكدت فيه أن مطالب الهر هتلر ، بصفتها الحالية ، غير مقبولة بلا قيد ولا شرط ، لأسباب ذكرتها ، ومنها أن هذا المراندوم يحرم تشيكوسلوفاكيا ، من بلادها الصناعية ، ومن محسناتها ، ومن أموالها المنقولة ، من قطارات وعربات ، بل يحرم المزارعين الذين يريدون الرحيل عن وطنهم من أخذ مواشيهم وحيواناتهم وهو يدخل ٨٣٦٠٠٠ تشيكى تحت السيادة الألمانية . أما المقاطعات التى تريد ألمانيا إجراء الاستفتاء فيها فتحتوى على ١٫١١٦٫٠٠٠ تشيكى و١٤٤٫٠٠٠ ألمانى ، وهو يقصى الدول الغربية ، (أى فرنسا وانكلترا) عن تصفية بقية المسائل ويضع تشيكوسلوفاكيا تحت رحمة ألمانيا . والمراندوم لا يذكر شيئاً عن ضمان الحدود الجديدة

* * *

ذعر الرأى العام ، واضطربت الدوائر السياسية من مراندوم الهر هتلر . وأصبح الكل يعتقد أن الحرب واقعة لا محالة . وواردت ألوف الرسائل على المستر تشمبرلين وعلى زوجته ، شكر مرسلوها فيها مساعيه للسلم، وأبدوا رغبتهم فى منع الحرب وأظهروا كرههم لها . وذهب المسيو دلاديه والمسيو بونيه مساء ٢٥ سبتمبر (إيلول) إلى لندن ، لتداول الأمر ، فوقفا فيها على جواب حكومة براغ . وفى اليوم التالى تابع ممثلو الحكومتين درس الموقف ، فأكد مسيو دلاديه لزملائه البريطانيين أنه إذا هوجمت تشيكوسلوفاكيا فان فرنسا تقوم بواجباتها نحوها . فأجاب المستر تشمبرلين ، أنه إذا كانت نتيجة هذه الواجبات اشتباك الجيوش الفرنسية مع القوى الألمانية ، فان الحكومة الانكليزية تشعر بأنها مجبرة على معاضدتها . وقد صدر فى اليوم نفسه بيان بهذا المعنى . وفى ٢٦ سبتمبر (إيلول) أعلنت تشيكوسلوفاكيا التعبئة العامة ، واتخذت فرنسا إجراءات حربية واسعة ، وأمر وزير البحرية البريطانى ، دوف كوبر ، الأسطول بأن يكون على استعداد . فأصبح الرأى العام ينتظر انفجار قنبلة الحرب العامة من ساعة إلى أخرى .

(للمقال بقية)

يوسف ڤيكل